

الوصية الجامعة
لابن تميم

DATE DUE

~~1 AUG 15~~

تجليد جامع الكتب
٢٢٩٧٧ تلفون

297.41:1131waA

ابن تيمية الحراني، تقي الدين أحمد بن
عبد الحليم.

الروية الجامعة لخير الدنيا والآخرة.

NOV 29 G67

297.41

1131waA

~~LIBRARY~~

~~4 JAN 67~~

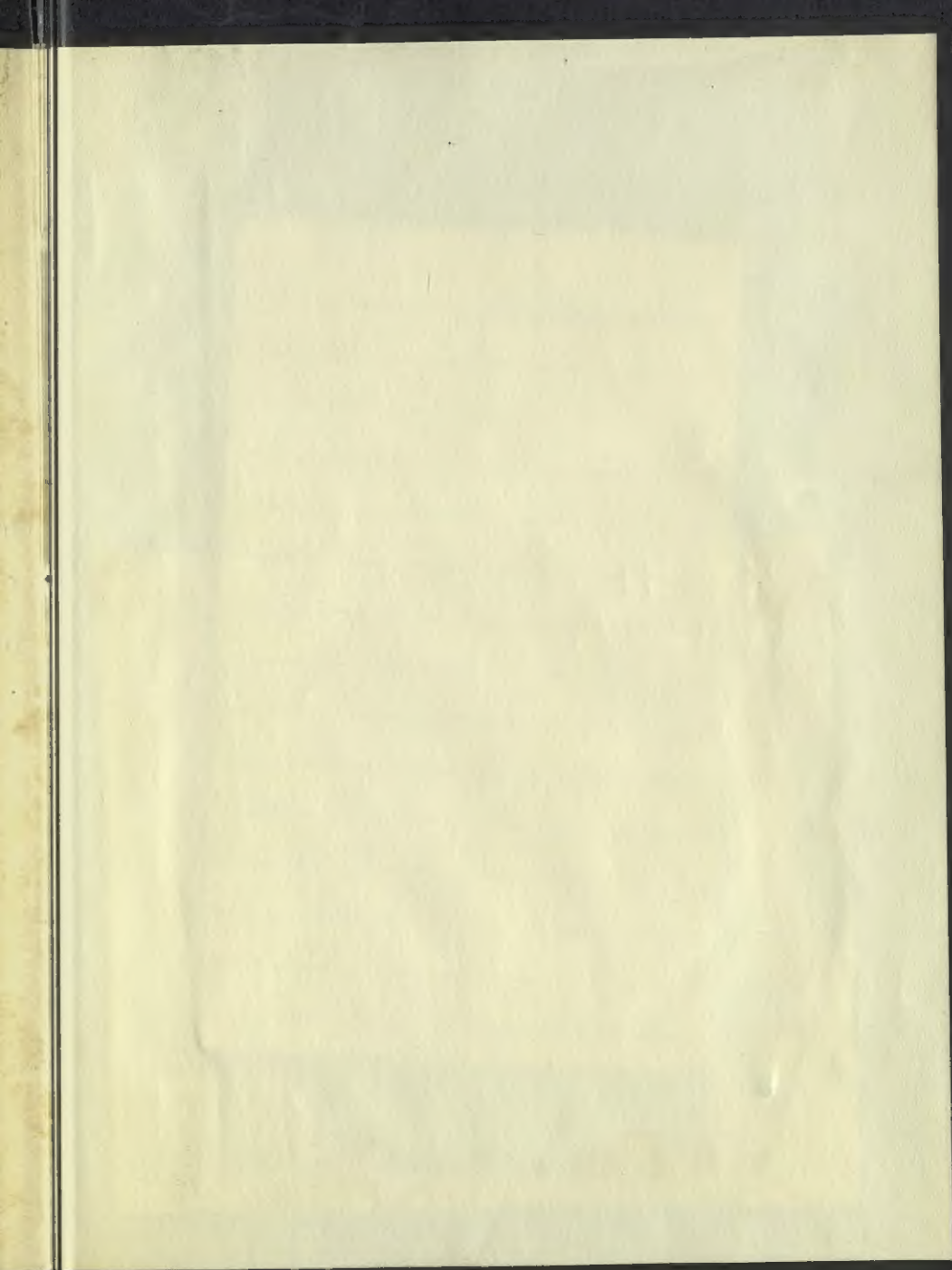
~~JAN 1980~~

~~JAN 1980~~

~~29 APR 1982~~

~~J. Lib~~

~~29 NOV 1983~~



الوصية الجامعة

لنحو الدنيا والآخرة

تصنيف

شيخ الإسلام ابن تيمية

أجزل الله له الأجر والثوبة



الطبعة الثالثة

١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م

الناشر

مكتبة أنصار السنة المحمدية

لصاحبها

محمود عفا غم غيث

١٠ الدمام - عابدين عمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا سؤال أبي القاسم المغربي :

يتفضل الشيخ الامام ، بقية السلف ، وقدوة
الحلف ، أعلم من لقيت ببلاد المشرق والمغرب ،
تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية بأن يوصيني بما
يكون فيه صلاح ديني ودنياي ، ويرشدني إلى كتاب
يكون عليه اعتمادي في علم الحديث ، وكذلك في
غيره من العلوم الشرعية، وينهني على أفضل الأعمال
الصالحة بعد الواجبات ، ويبين لي أرجح المكاسب .
كل ذلك على قصد الإيماء والاختصار ، والله تعالى
يحفظه ، والسلام الكريم عليه ورحمة الله وبركاته .

الجواب

الحمد لله رب العالمين .

أما الوصية ، فما أعلم وصية أنفع من وصية الله
ورسوله لمن عقلها واتبعها . قال تعالى (ولقد وصينا الذين
أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله)
ووصى النبي ﷺ معاذاً لما بعثه إلى اليمن فقال :

« يامعاذ : اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة
تحميها ، وخالق الناس بخلق حسن » وكان معاذ رضى الله
عنه من النبي ﷺ بمنزلة عليه ، فانه قال له « يامعاذ : والله
إني لأحبك » وكان يردفه وراءه . وروى فيه أنه أعلم الأمة
بالحلال والحرام ، وأنه يحشر أمام العلماء برتبة - أى
بخطوة - . ومن فضله أنه بعثه النبي ﷺ مبلغاً عنه ،
داعياً ومفتحاً ومفتياً . وحاكماً إلى أهل اليمن .

وكان يشبهه إبراهيم الخليل عليه السلام ، وإبراهيم
إمام الناس . وكان ابن مسعود رضى الله عنه يقول : إن
معاذاً كان أمة قانتاً لله خفيفاً ولم يك من المشركين ،
تشبيهاً له بإبراهيم .

ثم إنه ﷺ وصاه هذه الوصية ، فعلم أنها جامعة ،
وهي كذلك لمن عقلها ، مع أنها تفسير الوصية القرآنية .
أما بيان جمعها ، فلأن العبد عليه حقان : حق لله
عز وجل ، وحق لعباده . ثم الحق الذي عليه لا بد أن يحل
ببعضه أحياناً ، إما بترك ما موره ، أو فعل منهى عنه ،

فقال النبي ﷺ « اتق الله حيثما كنت » وهذه كلمة جامعة ، وفي قوله « حيثما كنت » تحقيق لحاجته إلى التقوى في السر والعلانية ، ثم قال « وأتبع السيئة الحسنة تمحها » فإن الطبيب متى تناول المريض شيئاً مضراً أمره بما يصلحه . والذنب للعبد كأنه أمر حتم . فالكيس هو الذي لا يزال يأتي من الحسنات بما يحو السيئات . وإنما قدم في لفظ الحديث « السيئة » وإن كانت مفعولة ، لأن المقصود هنا محوها لا فعل الحسنة فصار كقوله في بول الأعرابي « صبوا عليه ذنوباً من ماء » وينبغي أن تكون الحسنات من جنس السيئات ، فإنه أبلغ في المحو . والذنوب يزول موجبها بأشياء : أحدها التوبة ، والثاني الاستغفار من غير توبة . فإن الله تعالى قد يغفر له إجابة لدعائه وإن لم يتب ، فإذا اجتمعت التوبة والاستغفار فهو الكمال .

الثالث : الأعمال الصالحة المكفرة . إما الكفارات المقدرة كما يكفر الجائع في رمضان والمظاهر والمرتكب

لبعض محظورات الحج ، أو تارك بعض واجباته ، أو
 قاتل الصيد بالكفارات المقدرة وهي أربعة أجناس :
 هدى وعتق وصدقة وصيام . وإما الكفارات المطلقة كما
 قال حذيفة لعمر : فتنة الرجل في أهله وماله وولده
 يكفرها الصلاة والصيام والصدقة والأمر بالمعروف
 والنهي عن المنكر . وقد دل على ذلك القرآن والأحاديث
 الصحاح في التكفير بالصلوات الخمس والجمعة والصيام
 والحج وسائر الأعمال التي يقال فيها : من قال كذا وعمل
 كذا غفر له ، أو غفر له ما تقدم من ذنبه ، وهي كثيرة
 لمن تلقاها من السنن خصوصا ما صنف في فضائل الأعمال .
 واعلم أن العناية بهذا من أشد ما بالإنسان الحاجة
 إليه ، فإن الإنسان من حين يبالغ ، خصوصا في هذه
 الأزمنة ونحوها من أزمنة الفترات التي تشبه الجاهلية
 من بعض الوجوه ، فإن الإنسان الذي ينشأ بين أهل
 علم ودين قد يتلطف من أمور الجاهلية بعدة أشياء ،
 فكيف بغير هذا ؟

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ من حديث أبي سعيد رضي الله عنه « لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدختموه . قالوا يا رسول الله ، اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟ » هذا خبر تصديقه في قوله تعالى (فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا) ولهذا شواهد في الصحاح والحسان .

وهذا أمر قد يسرى في المنتسبين إلى الدين من الخاصة ، كما قال غير واحد من السلف منهم ابن عيينة ، فإن كثيراً من أحوال اليهود قد ابتلى به بعض المنتسبين إلى العلم ، وكثيراً من أحوال النصارى قد ابتلى به بعض المنتسبين إلى الدين ، كما يبصر ذلك من فهم دين الإسلام الذي بعث الله به محمداً ﷺ ، ثم نزل على أحوال الناس .

وإذا كان الأمر كذلك فمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ، وكان ميتاً فأحياه الله وجعل له نوراً يمشى به في الناس ، لا بد أن يلاحظ أحوال

الجاهلية وطريق الأمتين المغضوب عليهم والضالين من
من اليهود والنصارى ، فيرى أن قد ابتلى ببعض ذلك .

فأنفع مالا للخاصة والعامة العلم بما يخلص النفوس من
هذه الورطات وهو إتباع السيئات الحسنات . والحسنات
ماندب الله إليه على لسان خاتم النبيين من الأعمال
والأخلاق والصفات . ومما يزيل موجب الذنوب
المصائب المكفرة ، وهي كل ما يؤلم من هم أو حزن أو
أذى في مال أو عرض أو جسد أو غير ذلك ، لكن
ليس هذا من فعل العبد .

فلما قضى بهاتين الكلمتين : حق الله من عمل
الصالح وإصلاح الفاسد ، قال « وخالق الناس بخلق
حسن » وهو حق الناس . وجماع الخلق الحسن مع
الناس : أن تصل من قطعك بالسلام والإكرام والذعاء
له والاستغفار والتثناء عليه ، والزيارة له ، وتعطى من
حرمك من التعليم والمنفعة والمال ، وتعفو عمن ظلمك في دم
أو مال أو عرض . وبعض هذا واجب وبعضه مستحب .

وأما الخلق العظيم الذى وصف الله به محمداً ﷺ فهو الدين الجامع لجميع ما أمر الله به مطلقاً، هكذا قال مجاهد وغيره وهو تأويل القرآن، كما قالت عائشة رضى الله عنها « كان خلقه القرآن » وحقيقته المبادرة إلى امتثال ما يحبه الله تعالى بطيب نفس وانشرح صدر.

وأما بيان أن هذا كله فى وصية الله، فهو أن اسم تقوى الله يجمع فعل كل ما أمر الله به إيجاباً واستحباباً، وما نهى عنه تحريماً وتنزيهاً، وهذا يجمع حقوق الله وحقوق العباد. لكن لما كان تارة يعنى بالتقوى خشية العذاب المقتضية للانكفاف عن المحارم، جاء مفسراً فى حديث معاذ، وكذلك فى حديث أبي هريرة رضى الله عنهما الذى رواه الترمذى وصححه « قيل يا رسول الله ما أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ قال: تقوى الله وحسن الخلق. قيل: وما أكثر ما يدخل الناس النار؟ قال: الأجوفان: النعم والفرج »

وفى الصحيح عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما

قال قال رسول الله ﷺ « أكل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً » فجعل كمال الإيمان في كمال حسن الخلق. ومعلوم أن الإيمان كله تقوى الله، وتفصيل أصول التقوى وفروعها لا يحتمله هذا الموضع، فانها الدين كله، لكن ينبوع الخير وأصله: إخلاص العبد لربه عبادة واستمانه كما في قوله (إياك نعبد وإياك نستعين) وفي قوله (فاعبده وتوكل عليه) وفي قوله (عليه توكلت وإليه أنيب) وفي قوله (فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له) بحيث يقطع العبد تعلق قلبه من المخلوقين انتفاعاً بهم أو عملاً لأجلهم، ويجعل همته ربه تعالى، وذلك بملازمة الدعاء له في كل مطلوب من فاقة وحاجة وخافة وغير ذلك، والعمل له بكل محبوب. ومن أحكم هذا فلا يمكن أن يوصف ما يعقبه ذلك.

وأما ما سألت عنه من أفضل الأعمال بعد الفرائض فإنه يختلف باختلاف الناس فيما يقدرُونَ عليه وما يناسب أوقاتهم، فلا يمكن فيه جواب جامع مفصل

لكل أحد، لكن مما هو كالأجماع بين العلماء بالله
وأمره: أن ملازمة ذكر الله دائماً هو أفضل ما شغل
العبد به نفسه في الجملة، وعلى ذلك دل حديث أبي هريرة
الذي رواه مسلم «سبق المفردون، قالوا يارسول الله:
ومن المفردون؟ قال: الذاكرون الله كثيراً والذاكرات،
وفيما رواه أبو داود عن أبي الدرداء رضى الله عنه عن
النبي ﷺ أنه قال «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها
عند مليكم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من
إعطاء الذهب والورق، ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا
أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى يارسول الله، قال:
ذكر الله» والدلائل القرآنية والإيمانية بصرًا وخبرًا
ونظرًا على ذلك كثيرة. وأقل ذلك أن يلزم العبد
الأذكار المسأورة عن معلم الخير وإمام المتقين ﷺ
كالأذكار المؤقتة في أول النهار وآخره، وعند أخذ
المضجع، وعند الاستيقاظ من المنام، وأدبار الصلوات،
والأذكار المقيدة، مثل ما يقال عند الأكل والشرب

واللباس والجماع، ودخول المنزل والمسجد والحلاء
والخروج من ذلك، وعند المطر والرعد، إلى غير ذلك،
وقد صنفت له الكتب المسماة بعمل يوم وليلة. ثم
ملازمة الذكر مطلقاً، وأفضله لا إله إلا الله. وقد تعرض
أحوال يكون بقية الذكر مثل سبحان الله والحمد لله والله
أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله أفضل منه.

ثم يعلم أن كل ما تكلم به اللسان وتصوره القلب
مما يقرب إلى الله من تعلم علم وتعليمه، وأمر بمعروف
ونهي عن منكر فهو من ذكر الله. ولهذا من اشتغل
بطلب العلم النافع بعد أداء الفرائض، أو جالس مجلساً
يتفقه أو يفقه فيه الفقه الذي سماه الله ورسوله فقهاً، فهذا
أيضاً من أفضل ذكر الله. وعلى ذلك إذا تدبرت لم تجد
بين الأولين في كلماتهم في أفضل الأعمال كبير اختلاف.
وما اشتبه أمره على العبد فعليه بالاستخارة المشروعة،
فما ندم من استخار الله تعالى. وليكثر من ذلك ومن
الدعاء، فانه مفتاح كل خير، ولا يعجل فيقول قد دعوت

فلم يستجب لي ، وليتحرر الأوقات الفاضلة كآخر الليل
وأدبار الصلوات وعند الأذان ، ووقت نزول المطر ونحو ذلك .
وأما أرجح المكاسب : فالتوكل على الله ، والثقة
بكفايته ، وحسن الظن به . وذلك أنه ينبغي للمتهم بأمر
الرزق أن يلجأ فيه إلى الله ويدعوه ، كما قال سبحانه فيما
يأثر عنه نبيه « كلّم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني
أطعمكم . يا عبادي كلّم عار إلا من كسوته فاستكسوني
أكسكم » وفيما رواه الترمذي عن أنس رضي الله عنه
قال قال رسول الله ﷺ « ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها
حتى شسع نعله إذا انقطع ، فإنه إن لم ييسره لم يتيسر »
وقد قال الله تعالى في كتابه (واسألوا الله من فضله)
وقال سبحانه (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض
وابتغوا من فضل الله) وهذا وإن كان في الجمعة فعناه
قائم في جميع الصلوات . ولهذا والله أعلم أمر النبي صلى
الله عليه وسلم للذي يدخل المسجد أن يقول « اللهم افتح
لي أبواب رحمتك » وإذا خرج أن يقول « اللهم إني

أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ » وقد قال الخليل صلى الله عليه وسلم
(فابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ) وهذا
أمر ، والأمر يقتضى الإيجاب . فلا استعانة بالله واللجأ
إليه فى أمر الرزق وغيره أصل عظيم .

ثم ينبغى له أن يأخذ المال بسخاوة نفس ليبارك
له فيه ، ولا يأخذه بإشراف وهلع ، بل يكون المال عنده
بمنزلة الخلاء الذى يحتاج إليه من غير أن يكون له فى القلب
مكانة ، والسعى فيه إذا سعى كإصلاح الخلاء . وفى
الحديث المرفوع رواه الترمذى وغيره « من أصبح والدنيا
أكبر همه شئت الله عليه شمله ، وفرق عليه ضيعته ، ولم
يأت من الدنيا إلا ما كتب له . ومن أصبح والآخرة
أكبر همه جمع الله عليه شمله ، وجعل غناه فى قلبه ، وأتته
الدنيا وهى راغمة » . وقال بعض السلف : أنت محتاج
إلى الدنيا وأنت إلى نصيبك من الآخرة أحوج ، فإن
بدأت بنصيبك من الآخرة مر على نصيبك من الدنيا
فانتظمه انتظاماً . قال الله تعالى (وما خلقت الجن

والإنس إلا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق وما أريد
أن يطعمون . إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) .

فأما تعيين مكسب على مكسب من صناعة أو تجارة أو
بنية أو حراثة أو غير ذلك فهذا مختلف باختلاف الناس ،
ولا أعلم في ذلك شيئا عاما ، لكن إذا عني للإنسان جهة
فليستخر الله تعالى فيها الاستخارة المتلقاة عن معلم الخير
ﷺ ، فإن فيها من البركة ما لا يحاط به . ثم ما يتيسر له
فلا يتكلف غيره إلا أن يكون منه كراهة شرعية .

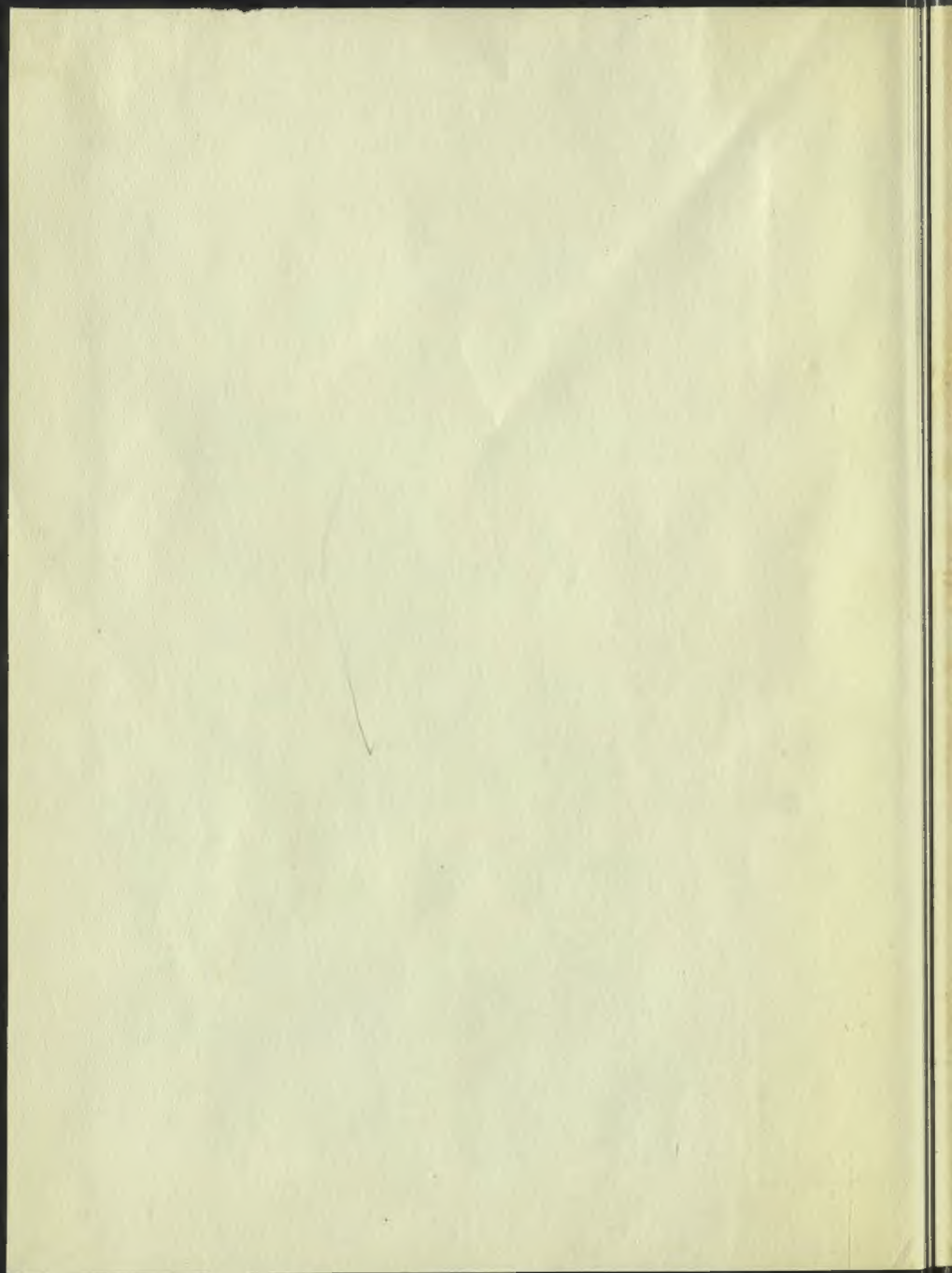
وأما ما تعتمد عليه من الكتب في العلوم فهذا باب
واسع ، وهو أيضا يختلف باختلاف نشء الإنسان في
البلاد ، فقد يتيسر له في بعض البلاد من العلم أو من
طريقه ومذهبه فيه ما لا يتيسر له في بلد آخر ، لكن
جماع الخير أن يستعين بالله سبحانه في تلقى العلم الموروث
عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فإنه هو الذي يستحق أن
يسمى عاما ، وما سواه إما أن يكون علما فلا يكون
نافعا ، وإما أن لا يكون علما وإن سمي به . ولئن كان

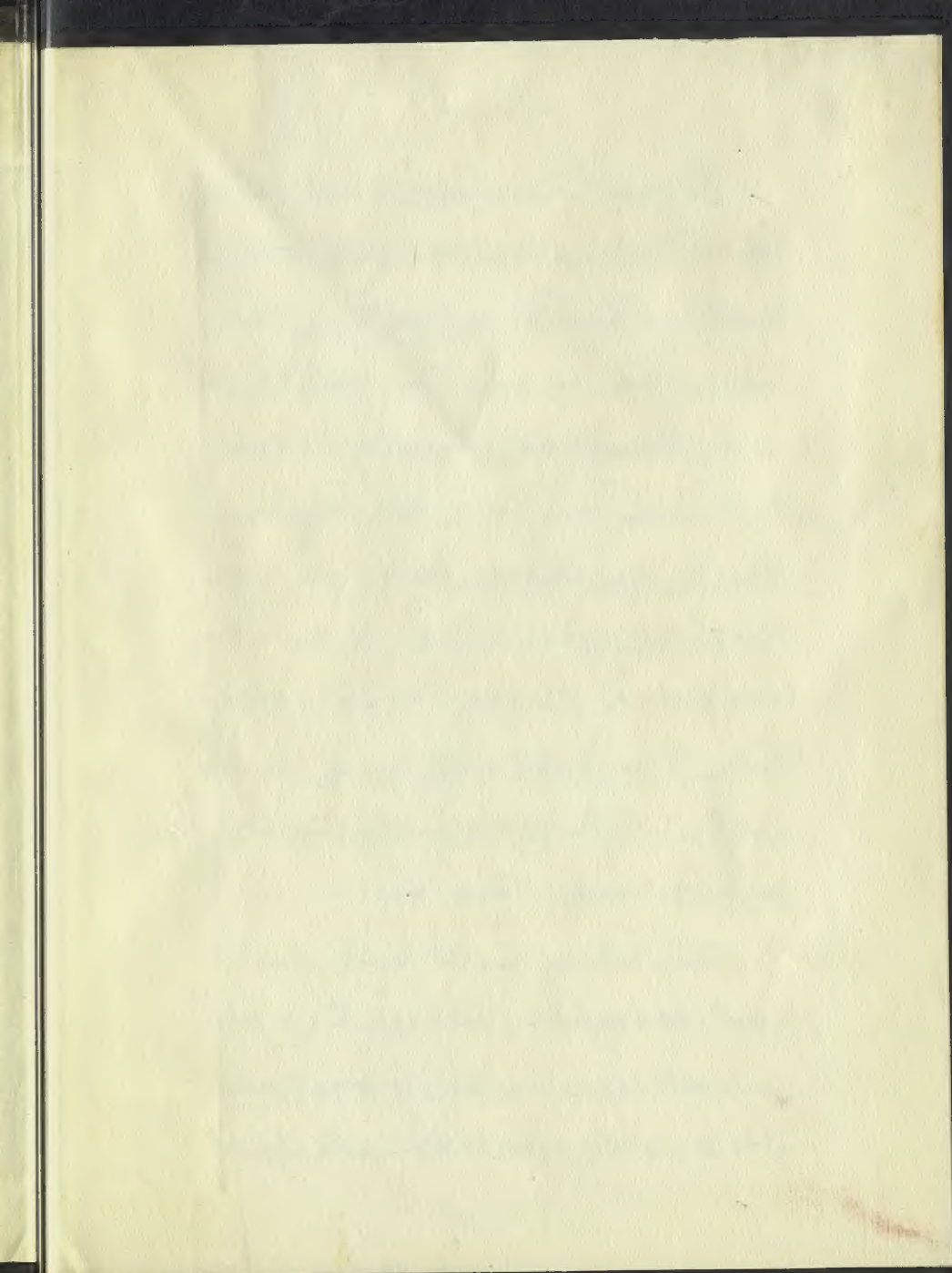
علما نافعا فلا بد أن يكون في ميراث محمد صلى الله عليه وسلم ما يغني عنه مما هو مثله وخير منه . ولتكن همته فهم مقاصد الرسول في أمره ونهيه وسائر كلامه . فإذا اطمأن قلبه أن هذا هو مراد الرسول فلا يعدل عنه في إيبته وبين الله تعالى ولا مع الناس إذا أمكنه ذلك .

وليجهد أن يعتصم في كل باب من أبواب العلم بأصل ما ثور عن النبي صلى الله عليه وسلم . وإذا اشتبه عليه مما قد اختلف فيه الناس فليدع بما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا قام يصلي من الليل « اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل ، فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم » فإن الله تعالى قد قال فيما رواه عنه رسوله « يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم »

وأما وصف الكتب والمصنفين ، فقد سمع منا في
أثناء المذاكرة ما يسره الله سبحانه . وما في الكتب
المصنفة المبوبة كتاب أنفع من صحيح محمد بن اسماعيل
البخارى ، لكن هو وحده لا يقوم بأصول العلم ولا
يقوم بتمام المقصود للمتبحر في أبواب العلم ، إذ لابد من
معرفة أحاديث آخر وكلام أهل الفقه وأهل العلم في
الأمور التي يختص بعلمها بعض العلماء . وقد أوعبت
الامة في كل فن من فنون العلم إيعابا ، فمن نور الله قلبه
هداه بما يبلغه من ذلك ، ومن أعماه لم تزده كثرة
الكتب إلا حيرة وضلالا ، كما قال النبي صلى الله عليه
وسلم لأبي ليبيد الأنصارى « أوليست التوراة والإنجيل
عند اليهود والنصارى ؟ فإذا نفى عنهم ؟ » .

فنسأل الله العظيم أن يرزقنا الهدى والسداد ،
ويلهمنا رشدنا ، ويقينا شر أنفسنا ، وأن لا يزيغ قلوبنا
بعد إذ هدانا ، ويهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب .
والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على أشرف المرسلين

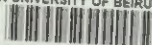




297.41:131waA:c.1

ابن تيمية الحراني، تقي الدين احمد بن
الوصية الجامعة لخير الدنيا والآخرة

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01008925



AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT

297.41

I131waA:c.1

الوصف الجامع - ابن قتيبة